مجلة الرائد

العدد : ١٩٦ الموافق في رمضان ١٤١٨ هجري ١٩٩٨/١ ميلادي

عنوان المقال : خطبة الجمعة	بقلم : محمد بن محمود

مضى على وجودي في بلاد أوروبا ما يقارب عشرين سنة ، أنعم الله علي فيها أن أشهد صلاة الجمعة في بلاد مختلفة ، ومع شيوخ وأساتذة أفاضل وإخوة عديدين . كما يسر العلي القدير أن أجلس إلى خطباء بعد الصلاة مع جمع من الإخوة الأكارم ؛ فنتوسع في موضوع الخطبة وأوضاع الإسلام والمسلمين عموماً في كل مكان .

كان هناك من يطرح العديد من الاستفسارات ، وبعض آخر بيدي آراء تختلف مع وجهة نظر الخطيب ، وجمع ثالث يطلب المزيد من العلم في شوق ولهفة تنشرح لها الصدور وتبعث الأمل في النفوس بأن المستقبل للإسلام لا محالة ؛ دين الإنسانية جمعاء وسبيل خلاصها من كل المآسي والهموم . وكنت أتذكر في كل جلسة من هذه الجلسات ما رواه لنا أستاذ جليل فاضل ورائد من رواد الدعوة الإسلامية المعاصرة الأستاذ عصام العطار ، حيث نقل كلاماً لأحد أصحاب الاتجاهات غير الإسلامية في بلادنا يقول ما معناه : نحسدكم على مشهد صلاة الجمعة الذي يجتمع فيه إليكم الناس وقد جثوا على ركبهم مستمعين ومنصتين لتوجيهاتكم ، بينما لو أردنا نحن جمعهم في جمع غفير كهذا لاحتجنا إلى الوقت والمال والجهد المضني...

هذا إن نجحوا في ذلك ، فعادة لا يأتيهم إلا القليل ومن الفئة التي تتفق معهم مسبقاً فحسب . لم يفارقني هذا الموقف ولازمني تساؤل مستمر : هل تستفيد الدعوة الإسلامية من منبر الجمعة كما ينبغي ، وهل أدركت الحكم الإلهية التي تحملها هذه العبادة . ويلح عليّ هذا التساؤل عندما أرى اهتمام أعداء الإسلام بمختلف أقنعتهم بهذا المنبر ، وبالعمل على محاصرته وإقصاء أصحاب القدرة على البيان النافذ إلى القلوب والعقول ، والكلمة الصادقة التي تشحن الوجدان بالإيمان وتوقظ الغافل المغتر بالشيطان . لقد أدرك هؤلاء قيمة الكلمة الصادقة فسعوا لوأدها في المهد ولكن الله متم نوره ولو كرهوا . كما أنهم وعوا أهمية الصلة الدائمة المؤثرة بالناس ، فأسسوا لذلك علماً أقاموا له المعاهد والكليات ، حتى صرنا نرى الزعماء السياسيين في الغرب يلتحقون بدورات التكوين في وسائل الاتصال ليحذقوا في كسب الأنصار ، ولو كان ذلك بالكذب والتزييف والخداع والوعود الكاذبة .

وكلما ألح علي التساؤل اصطدمت بالحقيقة التالية : ما زالت استفادتنا من منبر الجمعة محدودة جداً :

مجلة الرائد

العدد : ١٩٦ الموافق في رمضان ١٤١٨ هجري ١٩٩٨/١ ميلادي

عنوان المقال : خطبة الجمعة	بقلم : محمد بن محمود

❋ فأحياناً لا تعالج الخطبة ما يتصل بواقع الحاضرين ، وتخلو من التوجيهات المبنية على فهم شامل وكامل للإسلام وواقع المسلمين المعاصر .

❋ وأحياناً أخرى ينطلق الخطيب من سؤال شخصي تلقاه من فرد واحد فيعمم بذلك الخاص ، ويجعل من ذلك قضية معاصرة يجب المسارعة بحلها .

❋ وتارة أخرى يكون الكلام مفعماً بالتجريح والتأنيب والمحاسبة القاسية ، مقتصراً على الجانب السلبي فيفقد الأمل بالنفوس وتسيطر الحيرة على فكر المستمع ، فينعكس ذلك على طريقة معالجة الأمور .

❋ وفي مواقف أخرى يتسم الكلام بحماسة عاطفية واتخاذ مواقف من خصم دون اعتبار إطار الزمان والمكان وجميع الحيثيات .

❋ ومن أشد ما آلمني فيما سمعت أن يستعمل الخطيب المنبر ليرد على خطيب آخر أو عالم آخر كأنه يراه أمامه حاضراً ، فينسى المصلين الحاضرين الذين لم يكونوا طرفاً في هذا الخلاف وقد لا يعنيهم ذلك من قريب أو بعيد . فهل يجوز أن نحول المنبر إلى حلبة خلافات واختلافات ونربي جموع المسلمين على ذلك ؟!

لقد تعلمنا من رسولنا ﷺ ، ومن سلفنا الصالح ، حُكم الوعظ والإرشاد ، واسمحوا لي أن أتجرأ بالتذكير بما يلي :

❋ **حسن اختيار الوقت لتقديم الموعظة** : ووقت الجمعة من أفضل الأوقات حيث يأتي المصلي وهو متهيئ ذهنياً للاستماع ، ويُعتبر ذلك من أهم عوامل التفاعل والاستيعاب . ولقد حثنا ديننا على التبكير إلى المسجد لشحذ الهمم والاستعداد للاستماع . وبشكل عام لا بد من حسن اختيار الأوقات والأيام المناسبة بعد دراسة ظروف المعنيين بالكلام ، ولكي ننفذ إلى قلوبهم دون أن يملوا من الواعظ . جاء في مسند الإمام أحمد ما يلي : حدثنا سفيان قال سليمان : سمعت شقيقاً يقول : كنا ننتظر عبد الله بن مسعود في المسجد يخرج علينا ، فجاءنا يزيد بن معاوية ، يعني : النخعي ، قال : فقال : أنا أذهب فأنظر فإن كان في الدار لعلي أن أخرجه إليكم ، فجاءنا فقام علينا فقال : إنه ليذكر لي مكانكم ، فما آتيكم كراهية أن أملكم ، لقد كان رسول الله ﷺ يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا . وإذا ما توفر ذلك ضمّنا

الاستماع الذي يولد التطبيق ، لأنه يأتي في لحظة يكون المخلوق متصلاً بالخالق راجياً عفوه ومغفرته ورضاه . قال الله تعالى : { **الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون** } . ويبقى على المسلمين - دعاة ومدعوين - أن يتعهد بعضهم بعضاً خلال الأسبوع ، وبين الموعظة والأخرى ، ليستمر الاتصال وتنمو الشحنة الإيمانية ، وهو أمر ضروري للداعي وللمدعو .

❋ **الإيجاز غير المخل بالمعنى عند إلقاء الموعظة** : علينا تلافي التكرار والخروج عن لب وجوهر الموضوع ، إلى موضوعات جانبية يمكن الحديث فيها في وقت آخر ، كما يجب علينا تجنب الإطالة التي تدخل الملل وتقلل من قدرة الاستيعاب فتضيع الفائدة .

❋ **حسن العرض الذي يراعي نوعية الحضور** فلا يكون الكلام مبهماً ؛ لا بد للواعظ أن يدرك من يخاطب ، وأن يستعد لما يريد تبليغه بالتحديد ، ويدرك هدفه من ذلك فيخاطب الناس على قدر عقولهم ، وفيما يشغلهم وما يستوجب من حلول وتذكير وتبيان .

❋ **مراعاة الظروف المحيطة** فلكل مقام مقال : وقياس الأمور يجب أن يكون بقاعدة جلب المصلحة وارتكاب أخف الضررين .

❋ **النفاذ إلى القلوب بما يحرك الإيمان** ويذرف الدموع من غير تهييج للعواطف بشكل آني يموت مع الغفلة ولا يترتب عليه عمل دائم ، لا بد أن نوقظ حماس المسلمين لدعوتهم إلى الخير وإلى الذود عن دينهم ، ولكن ببصيرة وحسن تخطيط . وقد يظهر الخطيب والواعظ الغضب في كلامه ولكن لا يكون ذلك إلا للإشارة إلى أن حداً من حدود الله قد انتهك ، أو أن ابتعاداً عن سنة رسول الله ﷺ قد وقع ، جاء في صحيح البخاري ما يلي : حدثنا محمد بن كثير قال : أخبرنا سفيان عن ابن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن أبي مسعود الأنصاري قال : قال رجل : يا رسول الله لا أكاد أدرك الصلاة مما يطول بنا فلان . فما رأيت النبي ﷺ في موعظة أشد غضباً من يومئذ . فقال : « أيها الناس إنكم منفرون ، فمن صلى بالناس فليخفف ، فإن فيهم المريض والضعيف وذا الحاجة » .

ومع تهييج العواطف وإعداد الأذهان للاستماع لا بد من تحديد الواجب : جاء في مسند الإمام

مجلة الرائد

العدد : ١٩٦ الموافق في رمضان ١٤١٨ هجري ١٩٩٨/١ ميلادي

عنوان المقال : خطبة الجمعة	بقلم : محمد بن محمود

أحمد ما يلي : حدثنا الضحاك بن مخلد عن ثور عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي عن عرباض بن سارية قال : صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر ، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة ، ذرفت لها الأعين ووجلت منها القلوب ، قلنا أو قالوا : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودع فأوصنا ، قال : « أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً ، فإنه من يعش منكم ير بعدي اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة » .

ولنا في موقف أبي بكر الصديق ﷺ عند وفاة الحبيب المصطفى ﷺ درس رائع ، ففي لحظة كانت الأنفس حزينة كئيبة وقريبة من التصرف العاطفي أكثر من التصرف الواقعي ، قال ﷺ : أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . مشيراً بذلك إلى وجوب القيام بالواجب كما أمر النبي ﷺ وليس تحت وطأة الحماس والاندفاع ، جاعلين بذلك خير الأمة في المقدمة دوماً .

وختاماً أقول : لا يمكن لنا أن نستحضر هذه الآداب إلا إذا رافق كل ذلك الشعور بمسؤولية الكلمة ، المسؤولية الدنيوية التي تحقق تقدماً في حقل الدعوة ونصراً لها ، وتأتي بثمار ملموسة ترفع من شأن المسلمين وتزيح الذل والهوان الذي هم فيه ، والمسؤولية الأخروية التي تجعل حاضراً في ذهن صاحبها الوقوف أمام الله عز وجل يوم العرض الأكبر... كل فرصة يضيعها الداعي إلى الله ولا يتجرد فيها لله عز وجل في كلامه وتحركاته ، تساهم في تأخر الركب وتمكين أعداء الإسلام من المسلمين وإحكام القبضة عليهم ، فلنجتهد في الاستفادة من كل فرصة ، ونحاول أن نجعلها لبنة في بناء العمل الإسلامي ؛ ليكون على الدوام صرحاً شامخاً في وجه من يبيت الشر للإنسانية جمعاء .